الاقتداء بالأقارب والفرار منهم بين سورتي المعارج وعبس
دراسة بلاغية تحليلية

إعداد

د/ غالب محمد محمود الشاويش

جامعة الحسين بن طلال

معان ـــ الأردن

١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

الاقتداء بالأقارب والفرار منهم بين سورتي المعارج وعبس
دراسة بلاغية تحليلية

بقلم
د/ غالب محمد محمود الشاويش
جامعة الحسين بن طلال
معان ــ الأردن

المقدمة

لقد وقع اختياري على الكتابة في موضوع الاقتداء بالأقرباء، طلبا للنجاة من العذاب الشديد، كما ورد في سورة المعارج، والفرار منهم – أي من الأقرباء – يوم القيامة عند مجيْ الصَّاخة، كما أشارت إلى ذلك، سورة عبس.

ففي سورة المعارج تتحدث الآيات عن الفداء بالأقرباء تنازليا، متدرجة من الأقرب إلى القريب الأبعد:

قال تعالى في سورة المعارج : ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤)﴾ .

بينما في سورة عبس، تتحدث الآيات عن الفرار من الأقرباء تصاعديا، متدرجة من القريب ، إلى القريب الأقرب قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾.

إنّ معايير الدنيا، تختلف كلّ الاختلاف عن معايير الآخرة، ففي الدنيا، يحرص الإنسان على أبنائه وزوجته وعلى والديه، وإخوانه، وأقربائه، وعشيرته، وأصدقائه، فهو يحبهم، ويعزّهم، ويتودد إليهم، ويدافع عنهم، إذا ما ادلهمت بهم الخطوب، ونزلت بهم

النوائب والهموم، بل ربما تجده يضحي بنفسه، من أجل سعادتهم، ومسرّتهم، والحفاظ على بقائهم وسمعتهم.

أما في عالم الآخرة ، فالأمر مختلف ، فهو يريد الفداء بالأقرب ، عند رؤيته للعذاب الشديد، كما أنه يفر من الأقرباء ، عند مجيءالصّاخة يوم القيامة.

وعلى ضوء ذلك ، جاء البحث في مطلبين :

الأول : الفداء بالأقرباء تنازليا في سورة المعارج.

الثاني : الفرار من الأقرباء تصاعديا في سورة عبس.

هذا وقد سلكت المنهج التحليلي في كتابة هذا البحث، في ضوء نظرية النظم للشيخ عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله– (٤٧١– ٤٧٤ هـ).

وفي الختام ، فإني أتوجه إلى الله العلي القدير، أن يفتح الله عليّ من أسرار البيان القرآني ، وأنْ يتقبل الله منّي هذا العمل ، الذي أرجو من الله ، أنْ يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، إنه سميع مجيب.

والله الموفق ، والهادي إلى سواء السبيل.

المطلب الأول
الفداء بالأقرباء تنازليا في سورة المعارج

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة المعارج : الآيات : ١٠-١٤.

في هذه الآيات ، جاء ترتيب أقارب المجرم تنازليا في سياق الفداء ، ابتداء من الأبناء والصاحبة والأخ، وانتهاءً بالفصيلة ، ومَنْ في الأرض جميعاً.

وهنا يرد سؤال:

ما السّر البلاغي في تقديم الأقرب ، ثم القريب ، ثم عموم الناس في موضوع الفداء من العذاب ؟

لعلّ السر في ذلك ، يعود إلى طبيعة الموقف ، فالمجرم قد عرف مَصيرَه – بدون شك– أنه من أهل النار ، وليس أمامه الآن ، إلا أن يبحث عن وسيلة تنجيه من العذاب الأليم، فيأتيه التفكير، بأن يفدى نفسه بأقرب الناس إليه، ظنًا منه ، أنه يملكهم ، وأنه يستطيع أن يتصرف في شؤونهم وأمرهم ، فيختار الأغلى من أقربائه وهم الأبناء، ثم إنه يشعر في قرارة نفسه ، أن سلعة الفداء، ما زالت غالية ، تحتاج إلى أكثر من الأبناء ، فيقدم صاحبته فداء لنفسه ، ثم إنه يشعر ، أن سلعة الفداء ، ما زالت غالية ، وأنّ ما قدمه لا يكفي، فيضحي بأخيه – وهو العزيز المدلل في الدنيا – ثم ما زال يجد في نفسه ، أن سلعة الفداء غاليه ، إذ تحتاج إلى مزيد من البذل والعطاء ، فيقدم عشيرته، التي كانت تناصره وتؤيده وتسانده في الدنيا، ثم أخيراً لم يبق أمامه من الأقرباء إلا ﴿ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، ومع هذا كلّه ، فإنه لا ينجو من العذاب ، لأنه لايمكن أن يتحقق له ذلك الفداء، فهي مجرد خواطر وأمنيات تدور في داخل نفسه، فعدْل الله –

سبحانه وتعالى- يتناول الجميع ، فلا ينوب أحد مكان أحد . قال تعالى : ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ سورة الإسراء: ١٥ ويقول تعالى : ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ سورة مريم ، ٩٥.

ومن هنا يتبين أن أمنية المجرم – وهي الفداء لن تتحقق له أبدا . فهو يعيش على أمل خادع كالسراب، لأنه يظن أنه ما زال في عالم الدنيا، لا في عالم الآخرة فعالم الدنيا هو الذي يحصل فيه التضحية والفداء.

التحليل البلاغي :

قوله تعالى : ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

الواو : عاطفة.

لقد جاء النفي بحرف ((لا)) دون ((لن)) ، لأنّ الأول ينفي المستقبل والحال، بينما ((لن)) تأتي لنفي المستقبل ، فحرف ((لا)) إذن ،أشمل في النفي من حرف ((لن)) [1] .

وقد ذكر ابن عصفور ، أن النفي بحرف ((لا)) ، أكد من النفي بحرف ((لن)) [2]

وقد وضّح ذلك ابن قيم الجوزيه [3] – رحمه الله- ، حيث بين أنّ النفي بـ((لا)) ، يفيد دوام النفي وطوله ، بينما الحرف((لن)) ، يفيد نفي ما قرب ، دون أن يمتد نفيها ، كامتداد معنى النفي في الحرف ((لا)).

وقد فهم هذا المعنى من اللفظ نفسه ، إذ يقرر أن الألفاظ ، مشاكلة للمعاني ، وهذا ما قرره ابن جني ، حيث إذا ورد عليه لفظ ، يأخذ معناه من نفس حروفه، أي من صفاتها وجرسها وكيفية تركيبها.

وينقل ابن قيم الجوزية ، عن شيخه ابن تيمية – رحمه الله- ما نصه:((وهذا كثيرا ما يقع لي،وتأمل حرف((لا)),كيف تجدها ((لا)) ، ما بعدها ألف، يمتد بها الصوت، مالم يقطعه ضيق النَفَس، فآذن امتداد لفظها،بامتداد معناها،و((لن))بعكس ذلك،فتأمله،فإنه معنى بديع)) [4].

---

(١) انظر حروف المعاني والصفات للزجاجي : ٢٣ ، وانظرا لجنى الداني في حروف المعاني : ٢٩٧، وانظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب :٢٧٠، ٣١٤.

(٢) انظرا لجنى الداني في حروف المعاني : ٢٧٠.

(٣) انظر بدائع الفوائد : ٩٥/١، ١٣٧.

(٤) السابق : ٩٥/١ ، ٩٦ .

وهكذا يتبين مما سبق، طول معنى النفي في ((لا)) ، وقصوره في ((لن)).

ولذا كان النفي ب ((لا))، دون ((لن)) مقصودا في الآية القرآنية ، حيث يوحي النفي ب ((لا)) الداخل على الفعل المضارع ((يسأل)) ، بعدم سؤال القريب لقريبه، لا في زمن الحال ، ولا في زمن المستقبل ، بسبب انشغاله بنفسه، وفظاعة همّه، فهو لا يلتفت خارج نفسه، لأنه لم يبق في قلبه متسع لسؤال فيما يتعلق بمحبتهم وعشرتهم، بسبب الهول المروّع، والكرب الشديد، الذي لف الجميع ، حيث قطعت الوشائج، والروابط ، والصلات ، مابين الحميم وحميمه.

وجاءت كلمتا ((حميمٌ)) و ((حميماً)) نكرتان في سياق النفي ، فتفيدان معنى العموم ، أي جميع الأَحِمّاء، فهم لا يسألون بعضهم بعضا.

وقد حذف المفعول الثاني للفعل المضارع ((يَسأَل))، حتى يذهب الذهن في مذاهب شتّى من التقدير. فالمفعول الأول محدد وهو ((حميماً)) ، بينما المفعول الثاني محذوف لأمرين: للإيجاز أولا،ولتعدد التقدير ثانيا . فيمكن أن يكون التقدير[1] ولا يسأل حميم حميما شفاعته ، نصرَه، عونَه، حمايته ، منفعته ، إحساناً إليه، رفقاً به .... إلخ.

وقد تكون ((حميماً)) منصوبة على نزع الخافض ، فيكون التقدير: و لا يسأل حميم عن حميمه، حيث حذف حرف الجر[2]، وعليه ، لا حاجة للفعل ((يسأل)) إلى مفعول ثانٍ.

والسر البلاغي في حذف حرف الجر،يعود إلى الاختصار أولا ثم إلى عدم الفصل بين الحميم والحميم ، بحرف الجر((عن)) الذي

(١) نظر التفسير الكبير : ٦٤١/١٠.
(٢) السابق : ٦٤١/١٠ ، وانظر إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٦٥/٨.

يفيد معنى البعد والمجاوزة ثانيا. فالحميم ملاصق لحميمه، وقريب منه يراه ، بدليل قوله تعالى في الآية التي بعدها: ((يبصّرونهم)).

فلو وجد حرف الجر (عن) ، لأفاد أنّ رؤية الحميم لحميمه ، تكون عن بعد ، وليس عن قرب ، وهذا لا يتناسق مع قوله تعالى : ((يبَصّرَونَهم)).

ـ إنّ جملة ((يبَصرونهم)) لها وجهان[1] :

الأول : أنها متعلقة ، بما قبلها ، أي في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ ، وقد فصلت هذه الجملة ،لأنها استئناف بياني ، فكأنّ سائلا يسأل : لماذا لا يسأل حميم' حميماً؟ فهل عدم السؤال ، راجع إلى عدم رؤية بعضهم بعضا؟

فيكون الجواب : ((يبَصرونَهم)) أي يبصر بعضهم بعضا ، ولكن لانشغال كل حميم بنفسه – بسبب فظاعة الهول وشدته – لا يسأل عن حميمه ، بالرغم من رؤيته له عن قرب.

وما أشد وقع الألم على النفس ، عندما يرى الحميم حميمه عن قرب ولكنه لا يكلمه ، ولا يسأله عن أحواله ، كما هو الشأن في الحياة الدنيا.

الثاني[2]:أنّ جملة((يبصرونَهم))،متعلقة بما بعدها ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾ ، ومعنى ذلك ، أنّ المجرمين ، يبصرون المؤمنين في حالة ما يودّ المجرم' أنْ يفدي نفسه بأعز ما يملك من الأبناء والصاحبة والإخوة.

وما أصعب ذلك اليوم على المجرم – عندما يراه المؤمن– وهو في البلاء الشديد ، والكرب الفظيع ، لأنه يوازن بين ما هو فيه من

(١) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي : ١٠/٦٤٢ ، ٦٤٣.
(٢) انظر السابق : ١٠/٦٤٣.

ألم شديد ، وحزن عميق ، ومصير مظلم ، وبين ما فيه المؤمن من رَخاء عميم ، وعيش رغيد، وحال سعيد.

فرؤية المؤمن للمجرم على هذه الحالة ، تكون في نهاية الشدّة عليه، لأنه لا يريد لعدوه – المؤمن– أن يراه على هذه الحالة ، لأن ذلك يؤلمه ، ويوجعه ، ويوهن من عزيمته ، ويهدّ من قواه.

وجاء الضمير مجموعاً في جملة ((يبَصرونهم)) [1]، مع أنه راجع إلى الحميمين : الفاعل (حميم) ، والمفعول به ((حميماً))، والسّر في جمعه ، يعود إلى ورود الفاعل والمفعول نكرتين.

والنكرة في سياق النفي ، تفيد العموم . فحملاً على معنى العموم ، جاء الضمير مجموعاً في ((يبصّرونهم)).

قوله تعالى : ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤﴾.

جاء الفعل ((يَودُ)) دون يحب، لأنّ فيه زيادة في المعنى ، فالفعل يود بمعنى : كثير الحب مع التمني[2] .

فالمجرم يحب كثيراً ، ويتمنى ، أن يفتدي من العذاب بالأحب فالأحب، والأقرب فالأقرب ، من أهله وعشيرته ، لشدة ما يرى من الأهوال.

وجاء الفعل ((يَودّ)) بصيغة المضارع ، لاستحضار الصورة للمجرم ، سواء أكان في عالم الدنيا ، عندما كان مجرما، أم في عالم الآخرة ، عندما يريد الافتداء بنفسه ، بأعزّ الناس إليه، قبل أن يعرض على الحساب.

---

(١) انظر التفسير الكبير:١٠/٦٤١،وانظر تفسير التحرير والتنوير: ٢٩/١٦٠

(٢) انظر كتاب العين : ١٠٤١ ، وانظر المعجم الوسيط: ٢/١٠٢٠ مادة ودد.

وجملة ((يود المجرم)) ، يجوز أن تكون استئنافية ، وسرها البلاغي ، هو بيان أن كل مجرم ، يشتغل بنفسه، حيث إنه يتمنى أن يفتدي بأقرب الناس إليه، وأعلقهم بقلبه، ويجوز أن، تكون حالا من ضمير الفاعل ، على اعتبار أنه هو المتمني، فالمراد : يود المجرم منهم [1] .

والمجرم : بمعنى كثير الذنب . قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ السجدة: ١٢.

والتعريف في المجرم، يكون للعهد العلمي أو الحضوري ، لأن معنى المجرم، معلوم ومعهود لدى السامع ، ويكون كذلك التعريف للجنس لأن المقصود بالمجرم، جنس المجرمين، دون النظر للأفراد، فالتعريف في المجرم إذن، يكون للعهد العلمي ، وللجنس، فهو يتضمن المعنيين معاً.

والمجرم هو من حق عليه العذاب ، ويشمل الكافر والمسلم العاصي الذي يعذب[2].

وجاء الحرف ((لو)) متناسقاً مع الفعل ((يَودّ) من جانبين:

الأول : أنّ، حرف ((لو)) في أصله، حرف امتناع لامتناع ، ولكنه في بعض الأحيان، يخرج عن أصل وضعه إلى معنى التمني[3]،

---

(١) انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٦٠/٢٩.

(٢) انظر تفسير البحر المحيط : ٣٢٨/٨ ، وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٦٧/٥ ، وانظر التفسير الكبير: ٦٤٢/١٠، وانظر روح المعاني : ٦٠/٢٩ ، وانظر تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٤٧٣/٧ ، وانظر تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم : ٣١/٥.

(٣) انظر مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : ٢٩٥/١.

وهذا الحرف ((لو)) ، يؤتى به في الكلام ، عندما يكون المتمنّى عزيزاً، بعيد المنال، صعب الوقوع.

وأما الفعل ((يَودُ)) ، ففيه معنى التمني كما مرّ بنا سابقاً ، وهكذا يكون التلاؤم ما بين الفعل ، والحرف من حيث شمولهما على معنى التمني.

الثاني :أنّ هذا الحرف ((لو))،يكثر وقوعه بعد الفعل ((ودّ)) ، ((يَودّ))[1]، ومعنى وقوعه بكثرة ، يدل على شدة التناسب ما بين الفعل والحرف.

وهذا ملحوظ في كتاب الله –عز وجل- يقول تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ البقرة : ١٠٩، وقال تعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ ﴾ النساء:١٠٢، وقال تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾البقرة : ٩٦.

وقد ذهب بعض علماء التفسير والنحو[2] إلى أن ((لو)) تكون مصدرية، إذ يصلح وقوع (أنْ) المفتوحة موضعها، وأنّ أكثر وقوعها بعد الفعل ((ود))، ((يودّ)). قال تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ ﴾ ((فلو)) هنا مصدرية ، وما بعدها في حكم المفعول للفعل((يَود))،إذ يصبح المعنى: يود الافتداء من العذاب ببنيه...))إلخ.

---

(١) انظر المعجم الوسيط في الإعراب : ٢٧٥ ، وانظر الإتقان في علوم القرآن : ٢٣٩/٢ ، وانظر جامع الدروس العربية : ٢٦٤/٣، وانظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٩٣/١.

(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير : ١٦١/٢٩، وانظر إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٦٧/٨، وانظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٦٠/٢٩،وانظر الإتقان في علوم القرآن : ٢٣٩/٢، وانظر: أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك: ٢٢١/٤، وانظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢٩٣/١، وانظر جامع الدروس العربية : ٢٦٣/٣.

وسواء جاء حرف ((لو)) للتمني أم جاء للمصدرية، فإنّ المعنى في كلا الحالين ، مناسب لسياق الآية، فالآية تتحدث عن المجرم الذي يرى العذاب أمام ناظريه يوم الآخرة، فيتمنى بشدة، أن يفدي نفسه بأعز الناس عنده: بنيه ، وصاحبته ، وأخيه ..... إلخ.

وهذا التمني ، إما أن يكون حديث نفس جرى في خاطره، وإما أن يكون كلاماً صدر منه، شبيها بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ سورة عم : ٤٠.

وهنا يفتضح أمره ، أمام أهله وذويه.

ولا شك أن التمني بـ(لو) ، يكون للشيء الذي يعز وقوعه ، ويصعب منالـه، ومعنى ذلك أن ما تمناه من فداء ، لن يحصل عليه أبداً، فوروده على العذاب أمر لابد منه.

وإذا كانت ((لو)) مصدرية ، فإن مجيء المعنى بطريق المصدر المؤول من ((لو)) ، والفعل المضارع ((يفتدي)) ، يفيد أن فكرة الافتداء، والإصرار عليها، ما زالت عالقة في ذهن المجرم، فهو يعيش على أمل الافتداء من العذاب لآخر لحظة، شأنه في ذلك، شأن مجرم موقوف في سجن الدنيا، ينتظر الفرج ، قبل أن يصدر عليه حكم المحكمة ، فهو يبحث عن مخرج، لآخر لحظه ، لكي يخرج من السجن، بل تجده يلح ويجتهد في إيجاد واسطة متنفذه، سواء أكانت جاهاً أو مالاً ، أو مسؤولاً كبيراً له قيمته الاعتبارية الرسمية أو الشعبية في المجتمع ، لكي يخلصه مما هو فيه.

والفداء[1] : هو ما يعطي عوضاً ، لإنقاذ من تبعة، أو من مكاره ، قد تلحق بالإنسان.

والفداء : الشراء.

---

(١) انظر : لسان العرب : ١٥/١٥٠ مادة فدي.

ففي الدنيا، يكون الفداء بالمال والنفس، تقول: فديته بمالي، وفديته بنفسي ، فالإنسان لايفدي إ لا من يعظّمه' ، فيبذل له نفسه وماله[1].

وأما الفداء في الآخرة ، فالأمر مختلف ، إذ يريد المجرم أن يفدي نفسه بجميع أقربائه ، كما مرّ بنا سابقاً ، حفاظا على نفسه من العذاب الذي ينتظره.

فمعايير الدنيا غير معايير الآخرة بالنسبة للنظرة إلى الأقرباء.

قوله تعالى : ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾.

من : حرف جر ، يفيد معنى السببية ، أي يريد المجرم، أن يفدي نفسه، بسبب العذاب الذي يراه، كما أنّ حرف الجر ((مِن))، يستعمل في الأمور التي يصحّ فيها الانتقال[2] ، ومعنى ذلك أن المجرم يريد أن ينقل العذاب من نفسه، إلى أقربائه الذين يعزّون عليه.

وهنا يفتضح أمر المجرم، أمام أقربائه ، والعذاب : كلّ ما شقّ على النفس من عِقاب ونَكال[3]

وجاء الظرف (يومئذٍ) لبيان زمن العذاب فاللفظ (يومئذٍ) مؤلف من ((يومَ)) مضافا إلى ((إذ)) ، وكلاهما ظرف زمان.

فالأول : منصوب ((يومَ)، والثاني : مبني على السكون ، وحرك بالكسر، للتخلص من التقاء الساكنين: سكون ((إذْ)) وسكون التنوين ، وقد جاء التنوين عوضا عن جملة محذوفة ، محلها الجر بالإضافة.

---

(١) انظر لسان العرب : ١٤٩/١٥، ١٥١

(٢) انظر المعجم الوسيط في الإعراب : ٢٩٣.

(٣) انظر المعجم الوسيط : ٥٨٩/٢ مادة عذب.

والسرّ البلاغي في مجيء الظرف ((إذ)) بعد الظرف ((يومَ)) في هذا السياق، هو لبيان زمن العذاب الذي يقع في المستقبل ، ونظير ذلك ، قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ الزلزلة : آية : ٤ ، فالإخبار يكون في المستقبل ، والذي أفصح عن الزمن ، هو الظرف ((إذ)).

رف (إذ) يأتي لزمن الماضي ، كما يأتي لزمن المستقبل حسب السياق الذي يرد فيه.

قوله تعالى : ((ببنيه)).

حيث قدم الأبناء على جميع الأقارب ، لأن أول ما يفكر به المجرم، والمسلم العاصي يوم القيامة ، هو الخلاص من العذاب، وهذا لا يتم إ لا بفدية الأبناء، الذين هم أعزّ الأقرباء بالنسبة إليهما . فعلى عظم العذاب وشدته، تكون مقدار الفدية، لذا كان الأبناء هم الضحية أولا ، لهذا المجرم.

والباء في كلمة ((بنيه)) ، حرف جر يفيد الاستعانة، ولا يفارقها معنى الإلصاق[1]

ومعنى ذلك أن المجرم ، يستعين ببنيه ، محاولا بكل ما يستطيع الالتصاق بهم ، لكي يفتدوه من العذاب الأليم.

يقول ابن عاشور : ((إنّ الباء — إذا جاءت بعد فعل الفداء – تدخل على العوض المبذول ، فالباء هنا تفيد التعويض)) [2]

وجاء النظم القرآني بالملحق بجمع المذكر السّالم ((ببنيه)) [3] ، والاصل ((بنين)) ، فعندما أضيف إلى الضمير ((الهاء)) ، حذفت النون – دون جمع التكسير.(بإبنائه)، ذلك لأمرين:

---

(١) انظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ١٠٦/١.
(٢) تفسير التحرير والتنوير : ١٦١/٢٩.
(٣) انظر أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك : ٥٢/١.

الأول : لأمر لفظي ،فكلمة ((بنيه)) تتناسب فاصلتها مع فواصل الآيات الأخر التي جاءت بعدها وهي على الترتيب : ((وأخيه)) ، ((تؤويه)) ، ((ينجيه)).

الثاني : لأمر معنوي ، فالجمع ((بنيه)) ، ملحق بجمع المذكر السالم ، وهذا الجمع يفيد معنى القلة والكثرة بحسب السياق ، وسياق الآية، يحتمل المعنيين.

فهناك من المجرمين ، وعصاة المسلمين ، من عنده ((بنين)) ، قد يقل عددهم عند بعضهم ، ويكثر بعضهم عند الآخر ، لذا اختير هذا الجمع، ليستوفي المعنى : القليل والكثير.

بينما لو قيل في غير القرآن ((بإبنائه)) على صيغة جمع التكسير ((أفعال)) ، لأفاد معنى القلة ، وهذا مخالف لمقصود (ببنيه) ، كما مرّ بنا سابقا.

والدليل على إطلاق الأبناء على الذكور فقط، قوله تعالى في سياق نِعَمِهِ على بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ سورة البقرة : ٤٩.

فالمراد من الأبناء ، الرجال ، ويسمون أبناء على اعتبار ما كانوا ، بدليل مقابلته بالنساء[1] .

---

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير: ٤٩٢/١ ، وانظر التفسير الكبير : ٥٠٥/١ ، وانظر المحرر الوجيز: ١٤٠/١، وانظر تفسير البحر المحيط:٣٥٢/١،وانظر روح المعاني في تفسير الكريم والسبع المثاني:٢٥٤/١،وانظر جامع البيان في تفسير القرآن:٢١٦/١، وانظر في ظلال القرآن:٧٠/١،وانظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار:٣٠٩/١،وانظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣٠٩/١.

قال القاضي أبو محمد – رحمه الله – ((والصحيح من التأويل أن الأبناء هم الأطفال الذكور ، والنساء هم الأطفال الإناث، وعبر عنهن باسم النساء بالمآل)) [1]

وقد جاء بالتوراة ، أن فرعون ، قد أوصى القوابل بقتل كل مولود ذكر[2]، وهذا دليل على أنّ الأبناء هم الذكور من الأولاد دون الإناث.

وكذلك تطلق الأبناء على الذكور في قوله تعالى : ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران : ٦١. يقول أبو السعود:((اكتفى بذكر الأبناء عن ذكر البنات،لأنهم أعزُ منهن)) [3].

وقال ابن عاشور : ((فيحتمل أن المراد شبانهم)) [4]، وجاء في تفسير القرآن العظيم:((أبناءنا))الحسن والحسين ((نساءنا)) فاطمة ، ((أنفسنا)) رسول الله – ﷺ– وعلي بن أبي طالب [5] .

وهذه الأدلّة ، تدل على أن المقصود بالأبناء هم الذكور.

وجاءت كلمة ((بنيه))،دون كلمة ((أولاده)) ، لسر بلاغي ، وذلك لأن كلمة الابن ، لا تطلق إ لا على الذكر ، بينما كلمة ((الولد)) ، تطلق على الجنسين : الذكر والأنثى[6] .

---

(١) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ١٤٠/١

(٢) تفسير التحرير والتنوير : ٤٩٣/١.

(٣) تفسير أبي السعود المسمىّ إرْشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ٤٦/٢.

(٤) تفسير التحرير والتنوير : ٢٦٦/٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٤٩٣/١، وانظر تفسير البحر المحيط: ٥٠٢/٢.

(٦) انظر الكليات :٢٧

ومعنى ذلك،أنّ الفداء بالذكر يكون أغلى من الفداء بالأنثى ، وهذا يتمشّى مع طبيعة البشر الذين يفضلون الذكر على الأنثى في القديم والحديث.

هذا ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ سورة النحل: ٥٨، ٥٩، وقوله تعالى على لسان المشركين:﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ سورة النحل : ٥٧، وكذلك قوله تعالى على لسان امرأة عمران عليها السلام : ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ سورة آل عمران : ٣٦.

وجمع ابن ، أبناء وبنون ، وسمي الابن ابناً،لكونه بناء للأب، فالأب هو الذي بناه ، وجعله الله بناء في إيجاده [١] .

وتطلق كلمة الابن، على الابن الصلبي ، وابن الابن[٢] وإطلاق الابن على ابن الابن ، لا يستلزم إطلاق الولد على ابن الابن – إلا عرفا ، لأن حكم لفظ الابن ، مغاير لحكم لفظ الولد في أكثر المواقع ، بدليل دخول الحفدة في المستلمن على أبنائه[٣] .

قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ النحل : ٧٢ والحفدة جمع حافد ، حيث أطلق على ابن الابن ، والحافد في اللغة : المسرع في الخدمة والعمل ، لأن الحفيد يقوم بخدمة الجد عند الكبر بسبب ضعفه ، فالحفدة زيادة في مسرة العائلة ، لأنهم يقومون بخدمتها وإعانتها [٤] .

---

(١) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٦٠ وانظر الكليات :٢٧.
(٢) انظر الكليات : ٢٧.
(٣) السابق : ٢٧.
(٤) انظر تفسير التحرير والتنوير : ٢١٨/١٤، وانظر لسان العرب : ١٥٣/٣ مادة حفد.

وإذا كانت كلمة ابن ، تلتقي في أصلها مع كلمة (بنى) من البناء ، فإذن يكون على هذا الأساس، أن هناك تشابها ما بين الابن والبناء من ناحية :

أولا – البناء زينة وجمال ، والبنون كذلك.

قال تعالى : ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ، الكهف /٤٦.

فالبناء ، جنس من المال ، وهو مال صامت.

ثانيا – البناء فيه حفظ وستر لساكنيه ، فهو يحفظهم من الحرارة ، والبرودة والأمطار ، ومن وحوش البر والأعداء، كما يكون ساتراً للإنسان حيث لا يطلع على ظروفه وأحواله أحد من الناس إلا الله عز وجل، وكذلك الأبناء ، فهم يحافظون على آبائهم، ويكونون لهم ستراً في معيشتهم وحياتهم وظروفهم.

ثالثا – البناء فيه معنى القوة والمتانة والشدة ، فهو يقف شامخاً أمام عاديات الزمان – وصروف الدهر ، وكذلك الأبناء ، فهم السواعد القوية ، والعزائم الماضية الفتية ، لآبائهم في السلم والحرب ، والشدة والرّخاء ، والضعف والقوة.

وكلمة الابن ، تستعار لكل شيْ صغير[1]

فالشيخ الكبير يقول للشاب الأجنبي يا ابني[2]

كما أن الحكماء والعلماء والمدرسين والأساتذة ، يقولون لطلبة العلم يا أبنائي.

واستعمال الابن والولد في ابن الابن مجاز ولهذا يصح أن تقول عن ابن الابن : إنه ليس ابني، بل هو ابن ابني، وليس ولدي ، بل هو ولد ابني[3]

---

(١) انظر السابق : ٢٦.

(٢) انظر السابق : ٢٦.

(٣) انظر السابق :٢٦.

بعد أن يتمنى المجرم – وهي مجرد أمنية – الفدية من بنيه ، يتدرج بالفدية تنازليا إلى صاحبته.

والصاحبة هي الزوجة ، كما جاء في بعض كتب التفسير(١)

ولكن لماذا عدل التعبير القرآني عن لفظة الزوج إلى الصاحبة ؟ فهل هما بمعنى واحد ؟ ، أم أنّ هناك نكتةً بلاغية ، وسرّا بيانيا ، اقتضى هذا اللفظ دون ذاك ؟

لاشك في أن استخدام كلمة ((وصاحبته)) في الآية القرآنية ، لها بلاغتها في النظم القرآني ، حيث تدل على معنى ، لا تدل عليه كلمة ((زوجة)).

يقول ابن فارس في مادة ((صحب)) ((الصاد ، والحاء، والباء أصل واحد ، يدل على مقارنة شيء ومقاربته، وكل شيء لاءم شيئاً فقد استصحبه (٢) ، ومعنى ذلك، أن المقارنة تعني كثرة الملازمة والمداومة، ومما يؤيد ذلك، ما جاء في معنى الصاحب، حيث يعني الملازم حسًا أي: ((مصاحبته بالبدن))، أو معنى، كالاهتمام بالصاحب والعناية به في حالة غيابه ، حيث لا يغيب شخصه عن القلب والعقل والذهن والعين.

قال الشاعر :

لئن غبت عن عيني .·. لما غبت عن قلبي(٣)

---

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير:٣٠/١٣٦،وانظر جامع البيان في تفسير القرآن : ٢٩/٤٧، وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٥/٣٦٧، وانظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٤٨/٨،وانظر جامع البيان في تفسير القرآن:١٢/٤٥٣، وانظر تفسير المراغي : مجلد /١٠ ج٢٩/ص٦٨.

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة : ٣/٣٣٥.

(٣) نظر معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب : ٢٨٢، وانظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : ٣/٣٨٦.

ولذا جاء النظم القرآني بذكر ((الزوجة)) بوصف الصاحبة ، وذلك للدلالة على الملازمة والقرب وطول اللبث – لا بوصف الزوج ، لأن المرأة قد تكون سيئة العشرة لزوجها ، فعندئذ لا يكون فراره منها بسبب شدة الهول، وإنما بسبب عدم حسن العشرة ، ومن هنا جاء الوصف بالصاحبة دون الزوجة[1] .

وهناك وجه آخر ، له سرّه البلاغي ، ألا وهو أن كلمة ((صاحبة)) ، أعم من كلمة زوجة، فالصاحبة تكون للمؤمن، كما تكون للكافر، فالمؤمن يريد الفدية من صاحبته، وكذلك الكافر، بينما الوصف ((بالزوجة)) في أسلوب القرآن الكريم يطلق إذا كانت الزوجة على دين زوجها، وكان لا يوجد بينهما ما يعكّر صفو الحياة الزوجية.

أما إذا حدث ما يعكّر الحياة الزوجية من اختلاف دينِ أحدهما عن الآخر، أو حدث تفريق بينهما بطلاق أو موت ، أو حصل نزاع بين الزوجين ، أو ابتلي أحدهما أو كلاهما بعقم ، أو وقعت خيانة في العلاقة الزوجية،ففي هذه الحالة،يستخدم النظم القرآني كلمة (امرأة) لازوجة[2]

ومن هنا جاء السر البلاغي بمجيء الوصف بالصاحبة دون الزوجة في سياق الآية الكريمة ((وصاحبته وبنيه)) لأنّ ((الصاحبة)) تعمّ المؤمن وغير المؤمن ، بينما الوصف بالزوجة، يخصّ المسلم ، ولّما كانت الفدية من شدة الهول ، يطول المؤمن والكافر، جاء الوصف ((بالصاحبة)) ، لكي يتناسب مع مقصود البيان القرآني ، ولو قيل في غير القرآن:((وزوجته))، لكانت الفدية خاصة بالمؤمن، حيث يطلب الفداء من زوجته ، وأما الكافر فلا ذكر لطلب الفداء من صاحبته ، وهذا خلاف مقصود النظم القرآني.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٣٦/٣٠.

(٢) دراسات جديدة في إعجاز القرآن:١٦٦وانظر صفاء الكلمة:١٠٣.

وأما تقديم ((الصاحبة)) على الأبناء، فهو بسبب السبق في الزمان ، إذ وجود البنين، مترتب على وجود الصاحبة، فكانت بالتقديم أولى[1] .

وهناك أيضاً ملحظ لفظي في هذا التقديم ، وهو رعاية الفاصلة ، فلو قيل في غير القرآن: ((وبنيه وصاحبته)) ، لاختلّ الإيقاع ، وذهب جمال الموسيقى.

قوله تعالى : ((وأخيه)).

جاء الأخ في المرتبة الثالثة من الفداء ، وأصله أخَو'' ويجمع على إخوةٍ، وأخْوةٍ،وأُخوَةٍ وإخوان[2] .

جاء في لسان العرب ما نصه : ((وأكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء ، والإخوة في الولادة)) [3] .

قال أبو حاتم : ((قال أهل البصرة أجمعون : الإخوة في النسب ، والإخوان في الصداقة)) [4] .

أما قولهم ((الإخوة)) في الولادة أو في النسب ، يبطله قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ سورة الحجرات: آية: ١٠ .

فكلمة ((إخوة)) لا تعني إخوة النسب ، أو إخوة الولادة في الآية فحسب ، بل تشمل أخوة الدين ، وإخوة الإسلام.

وجمع ((الإخوة)) ، يتناول الذكور والإناث تغليبا[5]، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً ﴾سورة النساء : ١٧٦.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٣١/٣٠.
(٢) انظر لسان العرب : ١٤/١٩،٢٠ مادة أخا
(٣) لسان العرب : ١٤/٢٠.
(٤) لسان العرب: ١٤/٢١، وانظر الكليات:٦٣، وانظر تهذيب اللغة: ٦٢٥/٧.
(٥) انظر الكليات :٦٣.

والأخ : هو من جمعك وإياه في الولادة من الأبوين : أي من الأب والأم، أو من جمعك وإياه من صلب واحد، وهو الأخ من الأب ، أو من جمعك وإياه من بطن واحد، وهو الأخ لأم ، أو من جمعك وإياه في الرّضاع [1] .

والإخوة إذا كانوا من الأبوين (الأب والأم) ، يطلق عليهم : ((بنو أعيان)).

وإذا كانوا من آباء شتىً ، يطلق عليهم ((بنو أخياف)) ،وإذا كانوا من أمهات شتى، يطلق عليهم ((بنو عَلاّت) [2] .

وكلمتا : إخوان وإخوة ، فيهما معنى الملازمة ، لأن الأخ ملازم لأخيه ، أخذاً من قولهم :أخِيّة الدابة [3] .

قال الأزهري : ((وسمعت العرب تقول للحبل الذي يدفَن تحت الأرض – مثنيا –، ويبرز طرفاه الآخران، شبه حَلْقَةٍ ،وتشدُ به الدابة : أخِيّةَ ، وجمعها أواخيّ وأخايا)) [4].

وقال الليث : ((الأَخِيّة' : عود' يعرض' في الحائط ، تشدُ إليه الدابة، وجمعها الأواخِيُ والأَخَايا)) [5] .

وسواء كانت ((الأخِيّة')) حبلاً يدفن في الأرض ، مع بروز طرفيه على شكل حلقة، أم عوداً يعرض في الحائط ، تشد إليه الدّابة

---

(١) انظر السابق : ٦٣، وانظر معجم مفردات ألفاظ القرآن :٨.
(٢) انظر الكليات :٦٣ ، وانظر روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني : ١٤٢/٨
(٣) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن:٨، وانظر لسان العرب : ٢٣/١٤.
(٤) تهذيب اللغة : ٦٢٠/٧.
(٥) تهذيب اللغة : ٦٢٠/٧ ، وانظر لسان العرب : ٢٣/١٤.

، فهي ((أرفق بالخيل من الأوتاد النّاشزة أطرافها عن وجه الأرض ، وهي أشد رسوبا في بطن الأرض السّهلة من الوتد)) [1] .

وعليه ، فإنّ كلمة ((الأَخِيَّة')) توحي بمعنيين :

الأول – فإذا كانت ((الأَخِيَّة')) ، أرفق بالدابة من الوتد – كما مرّ بنا سابقا – فهذا يعني أنه يتطلب من الإخوة ، أن تكون أخوتهم ، فيها شيء من الرفق والسهولة . فعلى الأخ أن يرجع إلى أخيه ، مهما حصل بينهما من نفور وتباعد، كرجوع الفرس – مهما جالت وتحركت – فإنها ترجع إلى آخيتها.

الثاني – فكما أنّ ((الأَخِيَّة')) ملازمة للدابة ، فلا تفارقها ، لأنها لو فارقتها ، لضاعت وتاهت ، وأصبحت نهباً وسلبا للوحوش الضواري ، تنهشها من كل جانب ، كذلك الأخ ينبغي أن يكون ملازما لأخيه، فإن فارقه لأمر ما ، نهش من كل جانب ، وأصبح وحيداً في المجتمع، تتقاذفه الأمواج ، وتلعب به الميول والأهواء.

وتستعار كلمة ((أخ)) لكل مشارك لغيره في الدين،كقوله تعالى : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ سورة الحجرات :١٢.، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾سورة الحجرات : ١٠

- أو المشاركة في الكفر،كقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ سورة آل عمران : ١٥٦.
- أو المشارك في صنعة أو معاملة أو مودة[2] .
- أو المشابه والمجانس مثل : هذا أخو هذا.

---

(١) تهذيب اللغة: ٦٢١/٧.

(٢) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٨ وانظر مجمع البيان الحديث تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ٦٨ .

- أو في الصديق ، كما جاء في المثل: ((ربّ أخٍ لك لم تلده أمّك))[1] .
- أو الملازم للشيء كقولنا : ((هذا أخو حرب)) [2] .
- أو علـــى النسب والقرب كقولهم: أخو العرب، وأخو بني فلان، وأخـــو تميم[3] .
- وكقوله تعالى : ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾سورة ق / آية : ١٣. ســماهم إخوانه ، لأنه صاهرهم وتزوج منهم [4] .
- وجاءت كلمة ((وأخيه)) في البيان القرآني عامة، وليست مقيدة ، ومعنى ذلك ، أن المجرم يريد الفداء بكل من تنطبق عليه كلمة أخ ، سواء أكان من الأب والأم ، أم الإخوة لأب، أم الإخـــوة لأم ، أم الأخ من الرّضاع ، وذلك لشدة ما يرى من الأهوال يوم القيامة.

-قوله تعالى : ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾.

جاءت الفصيلة في المرتبة الرابعة من الفداء ، فهذا المجرم ، بعد أن يقدم الأبناء والصاحبة والأخ، يأتي دور الفداء بالفصيلة ، أي عشيرته الأقربون الذين فصل عنهم [5]

قال ثعلب : فصيلته هم آباؤه الأدنون [6]. وفسّر أبو عبيـــدة وعكرمة ، الفصيلة بالفخذ الذي هو منهم [7] .

---

(١) مجمع الأمثال : ٢٩١/١ رقم المثل : ١٥٤٦.
(٢) الكافي : ٤٣، وانظر تفسير التحرير والتنوير : ٢٣٤/٩.
(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير :٢٣٤/٩ ، وانظر الكافي :٤٣.
(٤) صفوة التفاسير : ٢٤٣/٣، وانظر روح المعاني : ١٧٧/٢٦
(٥) انظر روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسـبع المثـاني : ٦٠/٢٩، وانظر معجم مفردات ألفاظ القرآن :٣٩٥ وانظر غرائب القرآن ورغائـب الفرقـان :٤٩/٢٩، وانظـر التفسـير الكبيـر ٦٤٢/١٠، وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتـاب العزيـز : ٣٦٧/٥، وانظر جامع البيان في تفسير القرآن الكريم :٤٧/٢٩.
(٦) انظر روح المعاني :٦٠/٢٩.
(٧) السابق : ٦٠/٢٩ ، وانظر تفسير القرآن العظيم : ٥٤١/٤.

وقد ذكر ابن عاشور ، أن الفصيلة هم الأقرباء الأدنون من القبيلة ، فتشمل الآباء والأمهات [١]

وقد نقل عن ابن العربي ، أنّ مالكاً سئل عن قوله تعالى : ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ﴾ فقال : هي أمّه[٢] وأما الأب ، فيفهم بطريق لحن الخطاب ، وعليه يكون قد استوفت الآية ، ذكر أقرب القرابة بالمنطوق والمفهوم [٣]

لكن ابن عاشور،يرجح أن الفصيلة هم الآباء، وأما الأمهات ، فيدل عليها بطريق لحن الخطاب[٤]

وقد علل ابن عاشور ، عدم ذكر الأبوين (الأب والأم) في الآية ، لدخولهما في الفصيلة ، طلبا للإيجاز والاختصار[٥]

أما قول ابن عاشور السابق ، أن الفصيلة تشمل الآباء والأمهات ، وقوله في موضع آخر أن المقصود بالفصيلة هم الآباء ، وأما الأمهات فيستدل عليها بطريق لحن الخطاب ، ففيه نظر.

ففي سورة عبس، قد ذكر الوالدان صراحة في سياق الفرار ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾.

بينما في سورة المعارج ، لم يذكر الوالدان صراحة في سياق الفداء ، قال تعالى : ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾.

---

(١) انظر التحرير والتنوير : ١٦١/٢٩.
(٢) انظر السابق : ١٦١/٢٩، وانظر تفسير القرآن الكريم العظيم :٥٤١/٤.
(٣) انظر السابق : ١٦١/٢٩.
(٤) انظر السابق: ١٦١/٢٩
(٥) انظر السابق :١٦١/٢٩

فالفصيلة إذن ، هم الأقرباء الدانون من العشيرة ، كما مرّ بنا سابقا ، عند كثير من المفسرين ، ولا يمكن أن تشمل الفصيلة الآباء والأمهات ، فالفصيلة شيء، والآباء والأمهات شيء آخر.

كما ذكر الرازي، أنّ المراد من الفصيلة المفصولة، لأن الولد يكون منفصلا من الأبوين (الأب والأم) [1]

والدليل على ذلك ، قوله عليه السلام: ((فاطمة بَضْعَةٌ منّي ، فمن أغضبها أغضبني)) [2].

أضف إلى ذلك،أنه كان يقال للعباس:فصيلة النبي،لأن العمّ، يقوم مقام الأب [3].

ثم جاءت الفصيلة،موصوفة باسم الموصول((التي))،وصلته جاءت بصيغة الفعل المضارع،الدال على استحضار صورة الإيواء في الدنيا.

ومعنى الإيواء : الضم ، أي تضمه الفصيلة انتماء إليها نسبا، أو يلوذ بها من النوائب والمصائب [4].

فإيثار لفظ الفصيلة ، والفعل تؤويه، لدلالة على تعلق المجرم بعشيرته القوية ، ظنًا منه أنها تحميه وتنصره ، فكأنه ما زال يعيش في أوهام الدنيا ، لا في واقع الآخرة وحقيقتها.

قوله تعالى : ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾.

وأخيراً يحب المجرم بعد كل ما قدمه من الأقرباء السابقين فداءً لنفسه، أن يفتدي بمن في الأرض جميعا، وهذه هي المرتبة الخامسة من الفداء.

جاء اسم الموصول ((مَنْ)) المشترك الذي يصلح للمفرد والمثنى والجمع ، كما يصلح للمذكر والمؤنث بحسب السياق .

---

(١) انظر التفسير الكبير :١٠/٣،٦٤٢/٥٠٩

(٢) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : ١٦/٢٢٣.

(٣) انظر التفسير الكبير : ١٠/٦٤٢

(٤) انظر التفسير الكبير:١٠/٦٤٢. وانظر تفسير البحر المحيط: ٣٢٨/٨، وانظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان :٢٩/٤٩

واسم الموصول (مَنْ)، يشمل جميع الخلق في الأرض[1] فيشمل الثقلين: الإنس والجن ، أو الخلائق الشاملة لهم ولغيرهم [2]

فاسم الموصول في هذا السياق،يشمل العاقل وغير العاقل، لأن الأرض فيها العقلاء ، وغير العقلاء ، ولكن هنا غلّب العاقل على غيره.

فالأرض فيها الحيوانات على اختلاف أصنافها، والمعادن على اختلاف أنواعها، والطيور على اختلاف أشكالها.

وانظر إلى كلمة الأرض في هذا السياق ، فالمجرم ما زال في تصورة القديم ، ووهمه الخادع ، فهل هناك أرض ؟ وهل تبقى الأرض بمن فيها على ما كانت عليه؟

قال تعالى:﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾سورة إبراهيم:آيه٤٨.

وقال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ الفجر : آية : ٢١.

وقال تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ الزلزلة : آيه ١.

وقال تعالى : ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ الحاقة / آية :١٤

وجاء اللفظ ((جميعا)) الدال على الحال بمعنى مجتمعين ، والمعنى فهو حال في اللفظ ، تأكيد في المعنى[3]

والمعنى أن المجرم ، يتمنى الفداء بشدة مِنْ مَنْ في الأرض جميعا مجتمعين لا متفرقين ، أي : من جميع الخلق في الأرض العاقل وغير العاقل.

---

(١) انظر جامع البيان في تفسير القرآن : ٤٧/٢٩.
(٢) انظر روح المعاني : ٦٠/٢٩.
(٣) انظر الكليات : ٣٥٧.

ويجوز أن تكون ((جميعا)) توكيدًا للاسم الموصول ((مَن)) [1]، وسر هذا التوكيد ، هو أنه يفيد التعميم الحقيقي ، وإزالة الاحتمال عن الشمول الكامل [2]

والمعنى : أن المجرم ، يتمنى الفدية ، من كل فرد من أفراد الخلق ، دون استثناء ، على سبيل الشمول الحقيقي ، لا على سبيل المبالغة.

وهنا سر بلاغي في عدول البيان القرآني عن العطف بالفاء إلى العطف بالحرف ((ثم)) في قوله تعالى: ((ثم ينجيه)) دون ((فينجيه)) ، مع أن الأكثر في مثله ، جاء العطف بالفاء كقولة تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ النساء : آيه:٨٩.

وقوله تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ القلم / آية: ٩. لاشك في أن العطف بـ(ثم) يدل على شدة اهتمام المجرم بالنجاة بأي وسيلة [3] .

فالحرف (ثم) ، مكّون من ثلاثة أحرف ، وهذا الحرف ، يدلّ على التراخي الرتبي ، فالزمن فيه ممتد على العكس من حرف العطف الفاء، فالزمن فيه قصير، فكم يستغرق حرف الفاء من الزمن عند النطق به؟ لاشك أنه وقت يسير، وهذا لا يتناسب مع طبيعة الموقف الذي يعاني منه المجرم ، فهو يريد النجاة من العذاب ، لأنها هي الغاية عنده، فالحرف (ثم) فيه معنى الترتيب، والتمهل، والإبطاء، فالمجرم يريد أن يطول الزمن قبل أن يقذف في النار، لعله يجد وسيلة من الوسائل لكي ينجو ، فكلما طال الزمن ، كان في صالح المجرم كالموقوف في السجن، يحاول الخلاص بأي وسيلة قبل أن

(١) انظر بلاغة القرآن في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز : ٣٠٨/١٠.
(٢) انظر المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ٢٦٢/٢.
(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير: ١٦٢/٢٩.

يصدر عليه حكم المحكمة، فيثبت عليه الجرم ،ثم يحكم فيدخل السجن.، فالحرف (ثم) هو المعبر عن نفسيه المجرم في هذا الموقف العظيم.

- أضف إلى ذلك ، أن العطف ب (ثم) يفيد استبعاد الإنجاء[1] فالمجرم يتمنى لو كان جميع ما ذكر من الأقرباء وغير الأقرباء ، في متناول يده ، لكي يبذلهم فداء لنفسه، ولكن هيهات له هيهات !!.

وهنا يرد سؤال مفاده:

ما السر في جمع ((بنيه)) ، وإفراد ((صاحبته)) و((أخيه)) ؟

لعلّ السر في ذلك – والله أعلم – ، يعود إلى سببين :

الأول : لفظي ، فاللفظان ((صاحبته)) ، و(أخيه)) يتناسبان مع الفاصلة التي قبلها ((ببنيه)) ، كما يتناسقان مع الفاصلتين اللتين بعده وهما : ((تؤويه)) ، ((ينجيه)) ، فلو جمع اللفظان : ((صاحبته)) ، و((أخيه)) لاختلت فواصل الآيات.

الثاني : معنوي

فاللفظ ((ببنيه)) جمع ، يفيد معنى القلة والكثرة ، وقد مرّ بنا سابقا ، أنّ هذا الجمع ، ملحق بجمعِ المذكر السّالم ، فجاء الجمع ، ليشمل من لديه القليل أو الكثير من الأبناء، لذا جاءت الكلمة ((ببنيه)) في موضعها المناسب ، حيث تعبر عن المعنى المقصود على أكمل وجه.

ثم عطف المفرد ((وصاحبته)) على الجمع ، والصاحبة هي الزوجة ، وقد مرّ بنا سابقا ، الفرق بين الصاحبة والزوجة[2]

---

(١) انظر إعراب القرآن الكريم وبيانه : ٦٧/٨، وانظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٤٩/٢٩، وانظر روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني :٦٠/٢٩.

(٢) انظر البحث :١٣

ومن الجدير بالذكر أن بعض المجرمين – ومنهم عصاة المسلمين– ممن لديهم صاحبة أو أكثر،فإن كان له أكثر من صاحبة ، فهو يريد الفداء بالصاحبة الأغلى منهن.

لذا جاء ذكر الصاحبة بالمفرد– والله أعلم– دون الجمع ، لهذا الهدف وهو الفداء بالأغلى ، سواء أكانت له صاحبة واحدة أم أكثر .

وكذلك جاء لفظ ((الأخ)) بالمفرد دون الجمع ، ومن المعلوم أن بعض المجرمين والعصاة من المسلمين ، ممن لديهم أخ واحد أو أكثر.

فإذا كان لديه أكثر من((أخ))،فهو يريد الفداء بالأغلى منهم ، وإذا كان لديه ((أخ))واحد، فهو يريد الفدية منه،وهكذا يتخيرّ الأغلى من الصاحبة، والأغلى من الاخوة في سبيل الوصول إلى هدفه ، وهو النجاة من العذاب العظيم ، لذا جاء التعبير بالمفرد دون الجمع.

بقي أمر آخر ، جدير بالعناية والاهتمام ، وهو عدم ذكر الوالدين صراحة في موضوع الفداء ، ومن المعلوم أن الابن فرع ، والوالدين أصل ، فلماذا لا يطلب الفرع من الأصل الفداء منهما ، كما كان يتمنى من بقية الأقرباء ؟

الجواب – والله أعلم– ، أنّ الوالدين داخلان تحت اسم الموصول ((مَنْ)) ، ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾.

فالتمني حاصل بالمفهوم لا بالمنطوق ، ولعل عدم التصريح بهما ، راجع إلى أن المجرم ، يرى صعوبة في أن يتمنى الفدية صراحة من الوالدين، لأنهما هما الأصل له ، ولأنهما سبب في وجوده ، لذا لجأ المجرم إلى التلميح لا للتصريح.

فتَحت غطاء اسم الموصول (مَنْ) ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ، يكون المجرم ، قد استوفى جميع الأقرباء ، بما فيهم الأم والأب فداء لنفسه من العذاب الأليم الذي ينتظره.

هذه الجولة مع المجرم الذي يتمنى الفدية بأهله وعشيرته ، طلباً للنجاة من العذاب الشديد ، كان يغنيه عن ذلك كلّه ، أن لا يشرك بالله العظيم.

فعن أنس بن مالك ، عن النبي – ﷺ – قال : ((يقال للرجل من أهل النّار يومَ القيامة : أرأيتَ لو كان لك ما على الأرض من شيء، أكنتَ مفتدياً به ؟ قال : فيقول : نعم ، قال : فيقول : قد أردت منكَ أهونَ من ذلك، قد أخذت عليك في ظهرِ آدمَ أنْ لا تشركَ بي شيئاً ، فأبيت ، إلا أنْ تشرك)) (١).

وهذا الحديث الشريف، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ سورة الأعراف آية:١٧٢.

(١) الموسوعة الحديثية ، مسند الإمام أحمد بن حنبل :١٩/٣٠٢

المطلب الثاني
الفرار من الأقرباء تصاعديا في سورة عبس

قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة عبس ٣٣:-٣٧.

هذه الآيات الكريمات ، تكشف عن الحالة النفسية التي يكون عليها الإنسان يوم القيامة ، فقد بدأت الآيات بأداة الشرط الظرفية ((إذا)) دون ((إنْ)) الشرطية وكلاهما يصلحان ظرفاً لما يستقبل من الزمان، وذلك بسبب أنّ الأولى ، تؤكد حصول ما يقع بعدها ، وهو مجيء الصّاخة، بينما الثانية ، ترد لمعنى الاحتمال والشك، وهذا خلاف مقصود الآية ، كما أنهّا أي : (إذا) ، فيها معنى الفجائية ، أي إنّ ((الصّاخة)) تأتي فجأة دون أن يعلم بها أحد.

وقد استخدم التعبير القرآني الفعل ((جاء)) دون ((أتى)) في هذا السياق،لأنه مصحوب بمعنى:((الجلاء واليقين، والعلم والتصديق، وتحقق الوقوع والقصد)) [1] بينما الفعل ((أتى)) ، ((تحيط به هالة من الغموض والشك، والجهل والتكذيب ، والغيب وعدم القصد)) [2]

وإلى جانب هذا الملحظ المعنوي ، هناك ملحظ لفظي ، يتعلّق بإيقاع الكلمة، فلو قيل في غير القرآن : ((فإذا أتتْ الصّاخة))، لوجدت أنّ هناك فرقاً واضحاً بين اللفظين من ناحية الموسيقى والإيقاع ، فالكلمة ((جاءت)) تمتاز بحرف المد الذي يعطيها خفّة في اللفظ ، وامتداداً في الصوت ، وجمالا في الإيقاع ، بينما كلمة ((أتتْ)) تشعرك بانقطاع الصوت لسكون آخرها الذي يؤثر على حسن الإيقاع وجماله.

---

(١) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق : ١٥١.
(٢) السابق : ١٥١.

وهناك لفتةٌ بلاغية في التعبير عن زمن المستقبل ، بصيغة الماضي ((جاءت))،وذلك للدلالة على تحقق وقوع الحدث وتوكيده ، وهو مجيء الصاخة.

ثم انظر إلى جمال التصوير في قوله تعالى : ﴿جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ حيث صورت ((الصّاخة)) بمثابة من يحصل منه فعلِ المجيء ، فهنا لوحة تشخيصية بارعة ، حيث شبه وقوع يوم الجزاء ، بشخص قد جاء وحضر[1]

ولو تأملنا كلمة((الصّاخّة))،لو جدنا أنّ حروفها مهموسة[2] وهي الصاد،والخاء، والتاء ، والهمس في اللغة : هو الصوت الخفي [3]، وقيل : هو أخفى صوت [4] . فهذه الكلمة إذن، توحي بمجيء ((الصّاخّة)) همساً ، دون أن يشعر بها المرء ، ولكنه يتفاجأ بصوتها الشديد الذي يصخُ الآذان ويصمها.

وقد حذف جواب الشرط ل (إذا) في الآية ، وذلك لسر بلاغي ، ألا وهو الإيجاز من ناحية ، ولبيان سرعة الانتقال الفوري، إلى فرار المرء من أقربائه من ناحية أخرى .

فهنا اختصار شديد لعامل الزمن ، ما بين مجيء الصّاخّة ، والفرار المترتب على حذف جواب الشرط ، كما أنّ حذف الجواب ، يترك للذهن حرّية التقدير من خلال السياق.

وقد جاءت ((الصّاخّة)) – وهي الصيحة التي تصمّ الآذان من شدة وقعها – على وزن (اسم الفاعل) الذي يفيد معنى الثبوت

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير : ٣٦٦/٥.
(٢) انظر أسنى المعارج إلى معرفة صفات الحروف والمخارج :٦٦,٥٥
(٣) لسان العرب : ٢٥٠/٦.
(٤) التفسير الكبير للرازي: ١٠١/٨.

والحدوث[1] فيقصد بالثبوت ، هو أنّ مجيء ((الصّاخّة)) حدث ثابت لابد من وقوعه يوم القيامة ، ويقصد بالحدوث ، هو الانفكاك عن هذا الحدث إلى غيره من أحداث يوم القيامة . فالصّاخّة)) – وهي النفخة الثانية – قد جاءت وانتهت ، فيعقبها أحداث أخرى كالحشر والصراط والحساب ، ودخول الجنةِ أو النار ....

ومما يدل على الشدة المتناهية للنفخة الثانية ، هو اتصال اسم الفاعل بالتاء ((الصّاخّة)) للدلالة على المبالغة [2] .

وقد جاء التعبير القرآني بكلمة ((يَفِرّ)) دون كلمة ((يَهْرب')) أو ((يَنوص')) أو ((يأبَق')) ، مع أن جميع هذه الأفعال تدل مادتها اللغوية على الهروب.

فالفعل ((يَفِرّ)) فيه معنى الانكشاف . يقول ابن فارس : ((الفرار وهو الانكشاف)) [3] ، أي إن الفرار لا يكون إلا بعد أن يظهر شيء مخيف ، يرعب الإنسان ، فيفرّ منه.

((فالصّاخّة)) قد كشف أمرها للإنسان ، فترتب على ظهورها فِرار المرء منها بسرعة ، ولكن ليس لمكان بعيد آمن ، ولكنه الفرار من أعز الناس إليه وهم أقرباؤه الدانون.

أضف إلى ذلك ، أن الفعل الثلاثي من ((يِفرُ)) هو ((فَرَرَ)) على وزن ((فَعَلَ)، وهذا البناء من معانيه السير[4] ، والسرعة نوع منه.

كما أنّ هذا الوزن ((فَعَل)) يمتاز بحركة الفتح على حروفه الثلاثة ، والفتحة كما هو معروف عند النحويين من أخف

(١) معاني الأبنية في العربية : ٤٦/٤٧.
(٢) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ٢٩/٢٥٠.
(٣) معجم مقاييس اللغة : ٤/٤٣٩ مادة فرر.
(٤) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : ٦/٢٠ ، وانظر اللسان :٥/٥٣ مادة فرر.

الحركات[1]، مما أعطى لهذا الوزن الخفة وكثرة الاستعمال ، حتى قال سيبويه – رحمه الله :((وليس شيء في الكلام أكثر من فَعَل)) [2] .

فخفة البناء ((فَرَر))، تتناسب مع المعنى المقصود في الآية ، وهو الفرار الذي يصحبه التخفيف والتخلّي ، بمعنى أنّ الإنسان ، يتخفف من أثقاله المادية والمعنوية في حالة الهروب من أمر مذهل ، حتى يكون سريع الحركة والنشاط.

كما أن تقارب مخرج الحرفين في الفعل ((فَرَرَ)) يساعدان اللسان على نطق الكلمة بسرعة فائقة ، دون تلكّؤ أو تباطؤ ، أو تلعثم ، فسرعة النطق لحروف الكلمة ، صورة لصيغة الكلمة التي توحي بالخفة والسرعة ، فالفاء حرف شفوي ، والراء يخرج من طرف اللسان ، فالحرفان متقاربان في المخرج [3] .

ومما يلفت الانتباه ، أن التعبير القرآني جاء بكلمة ((المرء)) دون ((الإنسان)) ، لأن المادة اللغوية لهذه الكلمة ((المرء)) فيها معنى المروءة ، وتعني في اللغة كمال الرجولية والإنسانية[4].

وما أصعب الفرار على النفس،عندما يكون الرجل،صاحب مروءة، ونجده ونخوةٍ يفر من أعز الناس إليه، وهم أقرباؤه الدانون، فهو يشعر بالضيق والحرج ، والذل والصغار أمام هذا الموقف الرهيب.

ثم لو نظرنا إلى الفعل ((يَفِرّ)) لوجدناه يعدى بحروف الجر : (من) و (عَنْ)، و(إلى)[5]، ولكن التعبير القرآني استخدم الحرف (مِنْ) دون الحرفين الأخيرين وهما:- (عن) و (إلى)، فما السر في ذلك؟

---

(١) المغني في تصريف الأفعال :٩٨.
(٢) الكتاب ٢/٢٢٦.
(٣) أسنى المعارج إلى معرفة صفات الحروف والممارج :٦٦-٦٧.
(٤) لسان العرب :١/١٥٤ مادة مرأ.
(٥) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن:٣٨٨.

أقول : لعل السر – والله أعلم – يعود إلى معنى الحرف من جهة ،ومدى مناسبته في السياق من جهة أخرى.

فالحرف (مِن) من معانيه التبعيض [1]، وهذا المعنى له علاقة بمجيء ((الصاخة)) ، فهي بعض من أهوال يوم القيامة التي سيشاهدها الإنسان ، فهي ليست الأولى والأخيرة ، بل إنّ هناك مشاهد أخرى تتلوها ، حيث تكون أشدّ منها فظاعة، وأكثر منها خوفا وفزعاً ، تنتظر الإنسان.

كما أن الحرف (مِن) ، يوحي بمعنى القرب[2]، أي إن المرء يفرّ من أقربائه عن قرب ، وليس عن بعد منهم . بينما الحرف (عن) يفيد معنى البعد والمجاوزة [3]، فاستخدامه في السياق يوحي بفرار المرء عن بعد من إقربائه، وليس عن قرب منهم ، وهذا خلاف المقصود من النظم القرآني.

ومما لا شك فيه ، أن العطف (بالواو) في هذا السياق القرآني ، يدل على الترتيب،كما أن التقييد بالعطف يفيد الاختصار [4]، ومعنى ذلك أن التعبير القرآني جاء بالتقديم على سبيل الترقّي ، حيث قدم الأدنى قرابة، وهو الأخ والأم والأب ، ثم أخر الأوجب قرابة وهما الصاحبة والأبناء.

ولكن ما السر البلاغي في تقديم بعض الأقرباء ، وتأخير البعض الآخر؟ فهل هو من قبيل ذكر درجة القرابة ؟ أم أنه مقصود في البيان القرآني؟

---

(١) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم : ٣٥٢ ، وانظر جواهر الأدب في معرفة كلام العرب : ٢٦٩.

(٢) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم : ٣٥٠.

(٣) انظر الجنى الداني في حروف المعاني : ٢٤٥ ،وانظر رصف المباني : ٤٣٠.

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني : ٣٥٣

أقول : لعلّ السر في ذلك ، يعود إلى واقع الحال ، وطبيعة الموقف في ذلك اليوم العصيب.

فالسياق القرآني ، يؤكد فِرار المرء من أقربائه يوم القيامة ، بينما كان في الدنيا يفِرُ إليهم مستنجدا بهم في الملمات ، ويطلب منهم العون والمساعدة، إذا داهمته الشدائد والصعوبات.

لقد جاء فرار المرءِ أولا: من أخيه ، لأنه معه في درجة واحدة [1]، ومعروف

أن الأنسان في الدنيا مرتبط بأخيه منذ أيام الصّبا، فينشأ من هذا الاتصال ، إلف ومودة ومحبّة وشفقة ، تستمر معه ما شاء الله أن تستمر ، أضف إلى ذلك ، أنّ المرء يعتمد على أخيه في أيّام الشدّة والضيق ، فهو ساعده الأيمن ، وعقله المدبّر ،ولكنه أمام هذا الموقف المذهل ، يفرُ منه ، ناسياً العلاقة الأخوية ، والرابطة الأسرية التي كانت تجمع بينهما في الدنيا ، بسبب شدة الهول الذي لاعهد له به.

وقد جاء لفظ ((الأخ)) مشتركاً ما بين سورة المعارج، وسورة عبس حيث كانت مرتبة الأخ في الدرجة الثالثة ، بينما في سورة ((عبس)). كان الفرار من الأخ تصاعديا ، حيث جاءت مرتبته في الدرجة الأولى. وجاءت كلمة ((أخيه)) مطلقة غير مقيدة ، فمعنى ذلك ، أن المرءَ يفرُ من جميع إخوانه ، سواء أكانوا من جهة الأب والأم، أو من جهة الأب، أو من جهة الأم،أو من جهة الأخ بالرّضاع.

وقد تكلمت مزيداً عن معنى الأخ وجمعه ، وأنواع الأخوة في المبحث الأول ، فارجع إلى موضعه من البحث [2]

ثم يتدرج بالفرار تصاعديا من الأخ إلى الوالدين ((الأم والأب)).

---

(١) انظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٣٠/٣١.

(٢) انظر البحث : ص١٤.ومابعدها.

ولنا وقفة متأملة مع البيان القرآني ، وهو قولـه تعـالى : ((وأمه وأبيه)) دون أن يكون التعبير ((ووالديه))،مع أنّ هذا اللفظ ، يدل على الأم والأب، ولعل السّر في ذلك ، يعود إلى أمرين:

أحدهما : لفظي ، والآخر : معنوي.

فأما الأمر اللفظي ، فهو لرعاية التناسب لسـياق الآيـات ، حفاظا على جرْسها الموسيقى ، وإيقاعها المناسب ، فلو قيل في غير القرآن : ((يوم يفرّ المرءُ من أخيه، ووالديه ، وصاحبته، وبنيـه، لاختلت موسيقى الكلمات الداخلية ، وذهبت روعة الإيقاع.

ولا يخفى على القارئ ، نفور هـذه الكلمـة ((ووالديـه)) بالنسبة للألفاظ الأخـرى فـي السـياق: ((أخيـه)) ((وأبيـه)) ، ((وبنيه)).

أضف إلى ذلك، جاء تقديم الأم على الأب ، رعاية للفاصلة ،فلـو قيل في غير القرآن : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾ لشـعرت في خلل موسيقى، خلافا لما جاء في السياق القرآني:﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾.

وأما الأمر المعنوي ، فإن البيان القرآني ، قد أفـرد اللفظـين : ((وأمه وأبيه)) ، للدلالة على أسرار بلاغية منها :

أولا- الإطناب ، حيث عدد أقرباء المرء ، ومنهم الوالدان، وذلك لاستحضار صورة الهول في نفس السامع ، ولو قيل في غير القرآن : ((يومَ يَفِرُ المرء من أقرب قرابته، لفـات هذا المعنى)) (١)

ثانيا - الاستقلالية ، حيث أفرد التعبير القرآنـي، كـلاً مـن الأم والأب ، وذلك لاستقلالية كل واحد منهما عن الآخر .

---

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير : ١٣٤/٣٠.

ومما يؤيد ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ مريم /٩٥

فقد جاء التعبير القرآني ، بتقديم الأم على الأب في هذا السياق ((وأمه وأبيه)) ، وذلك لكون الأم ، تأتي في المرتبة الثانية بعد الأخ من ناحية القرابة ، فالأب أقرب للولد من أمه من ناحية النوع [١]، فهو ينتسب إلى أبيه ، ويحمل اسمه دون اسم أمه ، كما أن الأب ، يكون معينا لولده في الحياة الدنيا : معنويا وماديا ، فالمرء ما زال يظن أن الأب مصدر قوة وعز له في الآخرة ، كما كان له في الدنيا، لذا جاءت مرتبته بعد الأم مباشرة لهذا الغرض الذي ذكرناه وسابقا.

بينما نجد في الحياة الدنيا ، أن الرسول – ﷺ– قد أوصى خيرا بالأم ، فهي مقدمة على الأب في حسن الصحبة.

فعن أبي هريرة قال : قال رجل: يا رسول الله ! مَنْ أحق النّاس بحسن صحابتي ، قال : أمُك ، قال: ثم مَنْ ، قال : قال: ثم أمُك ، قال: ثم مَنْ قال: ثم أمك ، قال ثم مَنْ، قال : ثم أبوك)) [٢]

ثم يتدرج المرء بالفرار ، إلى أن يفر من صاحبته ، بعد أنّ فرّ من أخيه وأمه وأبيه، فهو يترقّى في درجات الفرار تصاعديا من أقربائه.

وقد جاء في بعض كتب التفسير أن ((الصاحبة)) بمعنى الزوجة[٣]

---

(١) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٣٣٢/٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٠٢/١٦، كتاب البر والصلة والآداب ، باب بر الوالدين ، وأنهما أحق به.

(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير : ١٣٦/٣٠،.وانظر جامع البيان في تفسير القرآن:٤٧/٢٩، ٤٥٣/١٢ ،وانظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٤٨/٨ وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٣٦٧/٥

وقد وضحت في المبحث الأول ، سبب عدول البيان القرآني عن لفظة الزوجة إلى الصاحبة[1]، أما تقديم ((الصاحبة)) على ((الأبناء)) فيعود إلى :-

أولا - السبق الزماني ، فالصاحبة تسبق البنين زمنا.

ثانيا - الأبناءهم أقرب إلى المرء من الصاحبة، لذا جاء ترتيبهم في آخر الآية.

ثالثا - رعاية للفاصلة ، فلو قدم البنون على الصاحبة ((وبنيه وصاحبته)) لاختلت الموسيقى ، وذهب جمال الإيقاع. لكونهم هم الأقرباء الدانون للرجل ، فالصاحبة يمكن للمرء أن ينفصل عنها ،أما الأبناء ، فلا يمكن له أن ينفصل عنهم لأنهم ينتسبون إليه.

ولكن ما السبب الذي يجعل المرء يفرّ من أقربائه وهم من أحب الناس إليه؟.

إن السبب في ذلك ، نجده في قوله تعالى : ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[2]

ولو تأملنا هذه الآية الكريمة ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ لوجدناها جاءت مفصولة عن الآيات السابقة، بمعنى أن الواو قد حذفت منها، ((لكل امرىء)) وليس ((ولكل امرئ)) ، فما السرُ في ذلك ؟.

إنّ حذف الواو ، ترتب عليه فصل الكلام عن سابقة ، وهذا يسمّى عند علماء المعاني بالاستئناف البياني ، وهو جواب عن سؤال يفهم من كلام سابق ، ففي قوله تعالى ((لكل امرئ ...)) جواب عن سؤال يفهم من قوله تعالى:﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾ ، فكأنّ سائلا يسأل : ما سبب فرار المرءِ من أقرب أقربائه ، وهم

---

(١) انظر المبحث الأول : ص ٢٦، ٢٩.

(٢) يغنيه : يصده ويصرفه عن أقرب الناس إليه .

من أعزّ الناس إليه ؟ فيكون الجواب عن هذا السؤال هو : ((لكل امرىءٍ منهم شأن يغنيه)).

وقد ابتدأ الجواب بصيغة العموم(كلّ) الدالة على أن كل امرىء ، يفرّ من أقربائه الخمسة ، وهذا يقتضي فرار كل قريب من أولئك من مثله [1]وأخيرا يفرّ المرء من ((بنيه)) ، بسبب الهول الشديد ، والموقف العصيب.

وجاءت كلمة ((بنيه)) بصيغة الجمع الملحق بجمع المذكر السالم، للدلالة على أمرين :

الأمر الأول : لفظي ، وذلك لتناسب هذا اللفظ مع فواصل الآيات : ((أخيه)) ((وأبيه)) ، ((وبنيه)) .

الأمر الثاني : معنوي ، فالجمع ((بنيه)) ملحق بجمع المذكر السالم ،وهذا الجمع يفيد معنى القلة والكثرة بحسب السياق الذي يرد فيه ، وهنا يتضمن المعنيين : القلة والكثرة ، حيث يفهم من ذلك ، أن المرء له بنون ، ولكنه يفر منهم ، سواء أكان عددهم قليلا أم كثيرا.

ولو جاء جمع ابن على أبناء ، وقيل في غير القرآن : ((وصاحبته وأبنائه)) لأفاد معنى القلة لأن صيغة أفعال. من جموع التكسير التي تفيد القلة ، وهذا يكون خلاف المقصود من الجمع ((بنيه)) ، الذي يفيد معنى القلة والكثرة.

وجاءت كلمة ((بنيه)) دون كلمة (أولاده) لأن كلمة ((بنيه)) تطلق على الذكر ، بينما كلمة أولاده تطلق على الذكر والأنثى[2]

ومعنى ذلك أن فرار المرء، سيكون من الأبناء الذكور. فقد كان في الدنيا يحبهم حبًا عظيما ، ويميل إليهم ميلا شديدا ، ويفضلهم

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:٣٠/١٣٦.

(٢) انظر الكليات : ٢٧، وانظر البحث : ١١ .

على الإناث ، أما في الآخرة، فهو يفرمنهم لشدة ما يرى من الأهوال عند مجيء الصّاخة، وتفضيل الذكر على الأنثى، أمر مغروس في الطباع البشرية ، حيث أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة الاجتماعية [1]

ومن الملفت للنظر،أنّ من تقاليب كلمة ابن، بنى من البناء ، وعلى هذا الأساس ، نجد تشابها في المعنى ما بين الابن والبناء ، وقد فصلت القول في ذلك ، في المبحث الأول ، فاظفر به هناك [2].

وجاء المبتدأ ((شأن)) [3] نكرة منونة ، ليدل على معنى التعظيم والتهويل ، فهذا الشيء العظيم – وهو الهول الشديد – هو الذي صرف المرء عن أقربائه الدانيين ، الذين ذكروا في الآيات سابقا ، مرتبين على حسب درجة القرابة.

وهكذا يتضح في هذه الآيات من سورة ((عبس))، أنّ الفرار من الأقارب ، قد بدأ تصاعديا من الأبعد إلى الأقرب ، فالأقرب ، تمشيا مع فطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها.

ولعلّ فِرار المرء من أقربائه من الأدنى إلى الأعلى ، يعود إلى عدة أسباب ، وكلها محتملة[4].

- فهل يفر من أقربائه ، خوفاً من أن يروه' على ما هو عليه من سوء الحال ، وصعوبة المقام؟
- هل يفرُ من أقربائه ، حذراً من أن يطالبوه بالتبعات ، وتحميله بعض المسؤوليات.
- هل يفرُ منهم ، لأنه يعلم أنهم لا يستطيعون أن يعملوا له شيئاً ، لأن حالهم كحاله ، ومصيره كمصيرهم ؟

---

(١) انظر تفصيل ذلك في المبحث الأول : ٢٢ .
(٢) انظر البحث : ص١٢ .
(٣) الشأن : الخطب والأمر والحال المهم.
(٤) انظر تفسير أبي السعود : ١١٣/٩.

- هل يفرُ منهم، لاشتغاله بنفسه من شدة الهول الذي يراه؟

فها هم الأنبياء والرسل – عليهم السلام – مثل : آدم ، ونوح، وإبراهيم وموسى، وعيسى، يقولون للناس يوم القيامة ، عندنا يطلبون منهم الشفاعة: ((نفسي نفسي نفسي)) [1]

وهكذا يسدل الستار على مشهد من مشاهد يوم القيامة، وهو فرار الإنسان من أقرب الناس إليه محبة وحنوّا، بدءاً بالأخ، وانتهاءً بالبنين.

ولو وازنا بين سورتي المعارج ، وعبس ، لوجدنا أن سورة ((المعارج)) تتحدث عن موضوع المجرم الذي يتمنى، ويحب الافتداء بالأقرباء، بينما سورة ((عبس)) ، تتحدث عن موضوع المرء، الذي يفِرّ من أقربائه عند مجيء الصّاخة.

ومن الجدير بالذكر ، أنّ بين السورتين اتفاقا واختلافا من حيث ذكر درجات الأقرباء فأما من حيث الاتفاق ، فقد ذكر أقرباء المجرم، وأقرباء المرء في كلتا السورتين ، وهم الأقرباء الدانون : البنون ، والصاحبة ، والأخ ، على خلاف في الترتيب – كما مرّ بنا سابقا.

وأما من حيث الاختلاف ، فقد ذكرت الفصيلة ، في سورة المعارج ، دون أن تذكر في سورة عبس ، كما ذكر في سورة المعارج عموم الخلق الذي يعبر عنهم اسم الموصول (مَنْ) ، دون ذكر ذلك في سورة عبس.

أضف إلى ذلك ، أنّ الوالدين لم يصرّح بهما في سورة المعارج – كما هو الشأن في سورة ((عبس)) ، وإنما أشير إليهما تلميحا ، تحت مظلة اسم الموصول ((مَن)) ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ، حيث بينت السر في ذلك كما سبق [2] .

---

(١) شرح الطحاويّة في العقيدة السلفية : ٢٠٣/٢٠٢ ، وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٤٤٠/٥.

(٢) انظر ا البحث : ص٢١

الخاتمة

لقد تناول البحث شخصيتين مختلفتين:-

إحداهما : تتمنى الفداء من الأقرباء يوم القيامة ، والأخرى تفر منهم.

أما الأولى ، فهي شخصية المجرم الذي يتمنى الفداء تنازليا من أقرب الناس إليه، ابتداء من الأبناء ، وانتهاء إلى ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ، وذلك بسبب شدة الأهوال التي يراها يوم القيامة ، وسوء المصير الذي ينتظره ، وهو العذاب الشديد ، حيث صورت ذلك المشهد ، آيات من سورة المعارج.

قال تعالى : ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾.

وأما الثانية ، فهي شخصية المرء ، الذي يفر فرارا تصاعديا من أقرباته ابتداء من الأخ ، وانتهاء بالأبناء عند مجيء الصاخة ، حيث صورت ذلك المشهد ، آيات من سورة عبس.

قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾.

وقد وضحت تلك الصورتين في ثنايا البحث.

هذا ، وإني قد بذلت جهدي المستطاع في هذا البحث ، راجيا من الله أن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة إنه سميع مجيب.

والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي ، ت/ محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣- أسنى المعارج إلى معرفة صفات الحروف والمخارج، عبد الرقيب حامد ، مكتبة أسامة ، تعز ، اليمن ، دار الروائع ، دمشق ، سوريا ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش ، دار اليمامة ، دمشق - بيروت ،دار ابن كثير ، دمشق - بيروت ، ط / ٨، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٥- أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، لابن هشام الأنصاري ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط /١٣٩٩،٥هـ -١٩٧٩م.

٦- بدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية،دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان.

٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت/ محمد علي النجار، المكتبة العلمية ، بيروت - لبنان.

٨- البلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني د / فضل حسن عباس دار الفرقان للنشر والتوزيع ،عمان ، الأردن ، ط /٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

٩- بلاغة القرآن الكريم في الإيجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز ، بهجت عبد الواحد الشيخلي ، مكتبة دنديس ، عمان – الأردن ط/ ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

١٠-الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، محمد نور الدين المنجد ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، ط /١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١-تفسير أبي السعود المسمى ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السّعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان.

١٢-تفسير البحر المحيط ، لأبي حيّان الأندلسي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط /٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

١٣- تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤م.

١٤ – تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط /٢.

١٥- تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، تقديم : عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار الفيحاء- دمشق ، مكتبة دار السلام – الرياض ، ط /١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٦-التفسير الكبير ، للفخر الرازي ط/٢ ، دار الكتب العلمية – طهران.

١٧-تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ت / محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية- الرياض

١٨-تفسير المراغي،أحمد مصطفى المراغي ، دار الفكر.

١٩-تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ت.د/عبدالسلام سرحان ، والأستاذ / محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي.

٢٠- جامع البيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ط/٣، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م

٢١-جامع الدروس العربية ، مصطفى الغلاييني ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، ط /١١، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.

٢٢-الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي ، دار الرشيد ، دمشق – بيروت ، مؤسسة الإيمان ، بيروت – لبنان ، ط / ١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٢٣-الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي ، ت / د. فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم الفاضل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط/٢ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٢٤-دراسات جديدة في إعجاز القرآن مناهج تطبيقية في توظيف اللغة د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني ، مكتبة وهبة – القاهرة، ط/١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٢٥-رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقي ، ت / د أحمد محمد الخراط، دار القلم د مشق ، ط/٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٢٦-روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، لأبىالفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، طم٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٧-صفاء الكلمة ، د/ عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ - الرياض ، ط/١، ١٤٠٣- ١٩٨٣م.

٢٨-صفوة التفاسير ، الشيخ / محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم _ بيروت ، ط/ ٣ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

٢٩-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، المسمّى بالعيني على البخاري ، دار الفكر.

٣٠-غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسايوري ، ت / إبراهيم عطوة عوض شركة مكتبة البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط/١ ، ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م.

٣١-في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق - بيروت ، القاهرة ط٧، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٣٢- الكافي / معجم عربي حديث / مجد الباشا ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،بيروت- لبنان، ط/١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٣- كتاب حروف المعاني ، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، ت/ علي توفيق الحمد مؤسسة الرسالة ، دار الأمل ، ط/٢، ١٤٠٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٤- كتاب العين،لأبىعبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار أحياء التراث العربي،بيروت-لبنان،ط/١٤٢١،١هـ-٢٠٠١م.

٣٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله بن عمر الزمخشري ، طهران.

٣٦- الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي ، مقابلة د/عدنان درويش ، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٧- لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت.

٣٨- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ، محمد الأنطاكي،دار الشرق العربي،بيروت،ط / ٣.

٣٩- مجمع الأمثال،لأبىالفضل أحمد بن محمد النيسابوري ت/محمد محىالدين عبد الحميد،دار الفكر،ط/٣، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م.

٤٠- مجمع البيان الحديث ، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، سميح عاطف الزين ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، ط/١٩٨٠،١م.

٤١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، ت / عبد السلام عبد

الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنـــان ، ط /١ ،١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٢- معاني الأبنية في العربية ، د/ فاضـل صـالح السـامرائي، منشورات جامعة بغداد ، ط/ ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٣- معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ت / نديم مرعشلي ، دار الفكر ، بيروت.

٤٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمـد فـؤاد عبـد الباقي ، المكتبة الإسلامية ، استنابول ، تركيا ، ١٩٨٢م.

٤٥- معجم مقاييس اللغة، لأبـي الحسـين أحمـد بـن فـارس، ت/عبدالسلام محمد هـارون ، دار الجيـل ، بيـروت ط/ ١ ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤٦- المعجم الوسيط ، د/ إبراهيم أنيس وآخرون ، مجمـع اللغـة العربية ، ط /٢ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٤٧- المعجم الوسيط في الإعراب ، للدكتور / نايف معروف ، دار النفائس ، بيروت - لبنان ، ط / ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٩م.

٤٨- مغني اللبيب ، عن كتب الأعاريب ، لجمال الدين بـن هشـام الأنصاري ، ت / د/ مازن المبارك ، ومحمد علي حمـدالله ، دار الفكر ، ط / ٢ ، ١٩٦٩م.

٤٩- من إسرار حروف الجر في الذكر الحكيم،د/ محمـد الأمـين الخضري ،مكتبة وهبة،القاهرة، ط /١،١٤٠٩- ١٩٨٩م.

٥٠- الموسوعة الحديثية / مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ت/ شعيب الأرنووُوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط / ٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه ، عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية _ بيروت – لبنان، ط/ ١، ١٤١٥ - ١٩٩٥م.

٥٢- انظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ت/ د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية / القاهرة – مصر.